

# مقدمة البحث

obeykandi.com

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي شَرَحَ صُدُورَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ للاهْتِدَاءِ بِالسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ، فإِنْقَادَتْ قُلُوبُهُمْ لِاتِّبَاعِهَا وَارْتَاخَتْ لِسَمَاعِهَا، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الدَّاعِي إِلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ النَّبِيَّةِ، فَقَامَتْ بِهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ بَعْدَ انْقِطَاعِهَا.

وَرِضْوَانُ اللَّهِ عَلَى أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ الَّذِينَ صَبَّطُوا لَنَا أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ وَأَحْوَالَهُ، فَحُفِظَتْ بِهِمُ السُّنَنُ الشَّرِيفَةُ مِنْ نَقْصِهَا وَضِياعِهَا، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِيَمَانٍ وَإِحْسَانٍ النَّجْبَاءِ الْأَبْرَارِ الْأَمْنَاءِ الْأَطْهَارِ، الَّذِينَ نَهَضُوا بِتَلْقِيهَا وَتَبْلِيغِهَا وَسَمَاعِهَا وَإِسْمَاعِهَا، فَأَدَّوْهَا كَمَا وَعَوْهَا خَالِفًا عَنْ سَالِفٍ، فَبَلَّغْتَنَا بَعْدَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا بِصَفَائِهَا وَنَقَائِهَا وَبِهَائِهَا وَنُورِهَا.

لَقَدْ بَذَلَ الْمُحَدِّثُونَ أَعْظَمَ الْجُهْدِ لِلْحِفَاظِ عَلَى السَّنَةِ الْمَشْرُفَةِ، وَصِيَانَتِهَا مِنَ الْوَضْعِ وَالتَّزْيِيفِ، وَحَمَائَتِهَا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ، وَأَسْفَرَتْ مَجْهُودَاتُهُمْ عَنْ أَقْوَمٍ وَأَدَقِّ مِنْهُجٍ نَقَدِي عَرَفَهُ التَّارِيخُ، حَتَّى صَارَتِ الطَّرِيقَةُ الْمَتَّبَعَةُ فِي الْإِسْلَامِ لِتَوْثِيقِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ أَفْضَلَ طَرِيقٍ وَأَعْلَاهَا، لَا تَدَانِيهَا فِي دَقَّتِهَا وَسُمُوها أَى طَرِيقَةً عِلْمِيَّةً اتَّبَعَتْ فِي تَوْثِيقِ الرِّوَايَاتِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهَدَايَةِ اللَّهِ مِنْ رِعَايَةٍ وَتَوْفِيقٍ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا الْأَدْوَاتِ وَالْوَسَائِلَ إِلَى تَحْقِيقِ وَعَدِهِ الصَّادِقِ النَّافِذِ، الَّذِي لَا يَعْوُقُ نَفَاذَهُ شَيْءٌ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ وَالسَّنَةُ.

وَكَانَ الْإِمَامُ الدَّارِقُطْنِيُّ أَحَدَ هَؤُلَاءِ النَّجْبَاءِ الْأَمْنَاءِ، الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِلْقِيَامِ بِوَأَجِبِ تَبْلِيغِ السَّنَةِ وَالْحِفَاظِ عَلَيْهَا، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا، فَصَنَفَ التَّصَانِيفَ النَّافِعَةَ إِسْهَامًا فِي الْوَصُولِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ الشَّرِيفَةِ.

وَلَمَّا كَانَ كِتَابُهُ «السُّنَنُ» مِنْ أَهَمِّ مَصْنُفَاتِهِ، وَلَمْ يُفْصَحْ عَنْ مَقْصَدِهِ مِنْ تَصْنِيفِهِ، وَلَمْ يُعْرَبْ عَنْ شَرْطِهِ فِيهِ، فَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارِي عَلَيْهِ لِمَعْرِفَةِ مَنْهَجِهِ وَخَطَّتِهِ، وَالْكَشْفِ عَمَّا حَوَاهُ مِنْ فَنُونِ الصَّنَاعَةِ الْحَدِيثِيَّةِ، وَإِبْرَازِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِدَ فِي إِعْلَالِ الْحَدِيثِ، وَبَيَانِ أَثَرِهِ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ، فَكَانَ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي اخْتِيَارِي لِهَذَا الْبَحْثِ، وَتَبَعُ أَهْمِيَّةِ هَذَا الْبَحْثِ

لكونه محاولة لفهم مقاصد الكتاب، وتقريب علومه ومعارفه إلى أهل العلم.

وقد وقفتُ على رسالة بعنوان «الإمام الدارقطني وكتابه السنن»<sup>(١)</sup>، ظننتُ للوهلة الأولى أن عملي سيكون تكرارًا لها، ثم تبين لي بعد النظر فيها، أنها لا تُعنى بحال عن دراسة الكتاب، لأن كاتبها لم يتطرق إلى منهج الكتاب إلا من خلال مبحث صغير يقع في تسع عشرة ورقة<sup>(٢)</sup>، تكلم فيه عن درجة أحاديث الكتاب ومقاصده وتبويبه وتكرار الأحاديث وتفرد الدارقطني بأحاديث في سننه، فاخترت المنهج في هذه الجزئيات، وهذه الرسالة في مجملها تفتقر إلى التحقيق العلمي، ويغلب عليها الأسلوب الخطابي، واكتفى كاتبها في كثير من المباحث بالجمع والفهرسة<sup>(٣)</sup>، ناهيك عن الأوهام والأغلاط التي وقع فيها، وقد أشرتُ إلى بعضها في ثنايا هذا البحث.

### صعوبات واجهت البحث:

أولى الصعوبات التي واجهت البحث: هي اختيار النسخة التي يُعتمد عليها من كتاب «السنن»، وذلك لعدم الوثوق الكافي في النسخ المطبوعة من الكتاب، إما لكثرة التحريفات وإما للنقص، ولضرورة الاعتماد على نسخة موثقة، فقد تكبدت عناء مقابلة طبعة السيد عبد الله هاشم بياني على نسختين خطيتين، حتى اطمأنت لسلامة النص، وسوف نلمس آثار هذه المقابلة في مواضع متفرقة من البحث.

(١) كانت هذه الرسالة أطروحة الدكتوراه التي قدمها الدكتور عبد الله الرحيلي إلى قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤٠٣ هـ. والتي طُبعت فيما بعد بعنوان «الإمام الدارقطني وآثاره العلمية» بدار الأندلس الخضراء بجدة سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. لأن العنوان القديم غير مطابق للمادة العلمية التي اشتملت عليها الرسالة.

(٢) الإمام الدارقطني وآثاره العلمية (ص ٢٨٠، ٢٩٨).

(٣) انظر على سبيل المثال: (ص ٥٥، ٧٣) أسماء شيوخ الدارقطني في سننه مرتبين على حروف المعجم. وانظر أيضًا (ص ٣٠٢، ٣١١) بيان بالأحاديث التي حكم عليها في السنن بالصحة أو الحسن أو الضعف. وانظر أيضًا (ص ٣٥٩، ٤٤٧) فهرس الأعلام المذكورين في السنن بجرح أو تعديل.

ومن الصعوبات أيضاً تشعب مادة الكتاب في شتى مناحى علوم الحديث، وتعلقها بعلم الفقه والخلاف، ومنها ندرة الدراسات المتعلقة بالكتاب، وقد تغلبت على جميع ذلك بكثرة الرجوع إلى كتب مصطلح الحديث، وكتب العلل والرجال، وشروح كتب السنة، وكتب الفقه المذهبي والمقارن.

### منهج البحث:

لقد اعتمدتُ في المقام الأول في هذا البحث على القراءة المتأنية «لسنن الدارقطني»، فرصدتُ من خلالها جزئيات كثيرة، تتعلق بمنهجه في الكتاب وآرائه في علوم الحديث، ثم ألحقتُ النظر بنظيره، والشبيه بشبيهه، حتى استطعتُ تحديد ملامح منهج الكتاب، ومعرفة رأيه في كثير من أنواع الحديث.

والتزمتُ الرجوع إلى المصنفات المعتمدة في كل فن، وعزوت كل قول لقائله، لأن من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وعزوتُ الآيات القرآنية إلى أماكنها في الكتاب الكريم، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

وخرَّجتُ الأحاديث والآثار المذكورة في البحث على كثرتها، وعزوتها إلى أماكنها من كتب السنة المعتمدة، فإذا كان الحديث في الصحيحين اقتصرْتُ عليهما، وإذا لم يكن فيهما ذكرتُ مَنْ أخرجهُ من أصحاب السنن الأربعة، فإذا لم يخرج في الستة أخرجته من مظانه الأخرى، مراعيًا في جميع ذلك التقاء طريق الحديث المطلوب تخريجه، مع المصادر المخرَّج منها في أحد رجال الإسناد، مع الاتفاق في لفظ المتن أو معناه.

وترجمتُ لبعض الأعلام عند الحاجة لذلك، وذكرتُ أقوال النقاد في بعض رواة الأسانيد، لبيان أحوالهم ومقارنتها بأقوال الدارقطني فيهم.

### محتوى البحث:

لقد بدأتُ البحث بتمهيد يتضمن التعريف بالإمام الدارقطني، عرضتُ فيه لسيرته منذ

ولادته حتى وفاته، وترجمت لجماعة من شيوخه وتلاميذه، وذكرت العلوم التي برع فيها، وسردت طائفة من مصنفاته، ثم انتقلت إلى التعريف بكتابه «السنن»، فذكرت الخلاف في تسميته، وتأكدت من نسبه لمصنفه، وذكرت عدد أحاديثه وتاريخ تصنيفه، ووصفت طبعاته وأهم مخطوطاته، وترجمت لجماعة من رواته، وعرفت بموضوعه ودرجة أحاديثه إجمالاً، وذكرت إسنادى للكتاب، اتباعاً لطريقة السلف في النقل بالإسناد.

وخصصت الباب الأول لمنهج الدارقطني في إيراد الحديث، فذكرت فيه طرقه المتعددة في عرض الأسانيد والمتون، وطرقه في التحمل والأداء، وأساليبه في التعريف بالرواة، ومنهجه في تقسيم الكتاب وترتيب الأبواب وتكرار الأحاديث، وطريقته في شرح الغريب، ورصدت عباراته في الحكم على الحديث، وألفاظه في جرح الرواة وتعديلهم.

ولما كان الكلام في العلل كثير في الكتاب، فقد أفردت الباب الثاني لمنهجه في إعلال الحديث أو دفع العلة عنه، فأظهرت منهجه في اختلاف الرواة في السند والمتن، وطرقه في الجمع أو الترجيح بين الاختلافات، وأوضحت أثر الاختلاف في المتن في اختلاف الفقهاء، وقد استعنت بالإكثار من الأمثلة، لمعرفة منهجه في مسائل هذا الفن الدقيق.

وخصصت الباب الثالث لبيان أثر الكتاب في مسائل الخلاف، وصدرته بفصل عن العلاقة بين الحنفية والدارقطني، جليت فيه موقف الدارقطني من أئمة الحنفية وأدلتهم، وردود أفعال الحنفية تجاه ذلك، ثم جملة من مسائل الخلاف، وراعى في اختياري لها أن تكون صالحة لعمل جزء حديثي، عرضت فيها للخلاف الفقهي في المسألة، متقيداً بالرجوع إلى المصادر المعتمدة لكل مذهب، معتمداً في سياق أدلة المذاهب على «السنن»، إلا في مواضع يسيرة جداً، سقت فيها بعض الأدلة من كتب أخرى إكمالاً للفائدة.

ثم أنهيت البحث بخاتمة تشمل على أهم نتائجه، وذيلته بفهارس تسهل الاستفادة منه وهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من زلل فمني، والله أسأل أن

يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تقسيم البحث: يشتمل البحث على تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة:

تمهيد: في التعريف بالإمام الدارقطني وكتابه السنن

الفصل الأول: التعريف بالإمام الدارقطني

المبحث الأول: حياته وصفاته

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

المبحث الثالث: علومه ومصنفاته

الفصل الثاني: التعريف بكتاب سنن الدارقطني

المبحث الأول: وصف كتاب السنن

المبحث الثاني: موضوع الكتاب ودرجة أحاديثه

المبحث الثالث: منزلة الكتاب وعناية العلماء به

الباب الأول: منهج الدارقطني في إيراد الحديث والحكم عليه والجرح والتعديل

الفصل الأول: منهج الدارقطني في إيراد الإسناد

المبحث الأول: تعريف الإسناد وأهميته واختصاص الأمة به

المبحث الثاني: طرقه في إيراد الإسناد

المبحث الثالث: طرقه في التحمل والأداء

المبحث الرابع: طرقه في التعريف بالرواة

المبحث الخامس: طرقه في تخريج الحديث

الفصل الثاني: منهج الدارقطني في إيراد المتن

المبحث الأول: تعريف المتن ومكانته في التشريع

المبحث الثاني: منهجه في تقسيم وترتيب الأحاديث

المبحث الثالث: منهجه في إيراد المتن والاختلاف فيه

المبحث الرابع: منهجه في شرح الغريب

المبحث الخامس: منهجه في الاختصار والتخفيف

الفصل الثالث: منهج الدارقطني في الحكم على الحديث

المبحث الأول: ألفاظه في الحكم على الحديث

المبحث الثاني: الحكم بالإرسال

المبحث الثالث: الحكم بالانقطاع

المبحث الرابع: الحكم بالتفرد

الفصل الرابع: منهج الدارقطني في الجرح والتعديل

المبحث الأول: نبذة عن علم الجرح والتعديل

المبحث الثاني: منهجه في التوثيق والتعديل

المبحث الثالث: منهجه في الجرح والتليين

المبحث الرابع: منهجه في التجهيل

الباب الثاني: منهج الدارقطني في إعلال الحديث

الفصل الأول: الاختلاف بين الرواة في الحديث

المبحث الأول: تعريف الاختلاف وأسبابه وأقسامه

المبحث الثاني: منهج الدارقطني في إيراد الاختلاف

الفصل الثاني: الاختلاف في السند

المبحث الأول: تعارض الوصل والإرسال

المبحث الثاني: تعارض الرفع والوقف

المبحث الثالث: الاختلاف في راوى الحديث

المبحث الرابع: الاختلاف في الجمع والإفراد

المبحث الخامس: الاختلاف بزيادة راوٍ أو نقصانه

الفصل الثالث: الاختلاف في المتن

المبحث الأول: الاختلاف بالزيادة

المبحث الثاني: الاختلاف بالإدراج

المبحث الثالث: الاختلاف بالاستبدال

المبحث الرابع: الاختلاف في العدد

المبحث الرابع: الاختلاف بالتقديم والتأخير

الفصل الرابع: الاختلاف في السند والمتن معاً

الباب الثالث: أثر سنن الدارقطني في اختلاف الفقهاء

الفصل الأول: بين الإمامين أبي حنيفة والدارقطني

المبحث الأول: موقف الدارقطني من الحنفية

المبحث الثاني: أحاديث خولف فيها أبو حنيفة

الفصل الثاني: مسائل من كتاب الطهارة

الفصل الثالث: مسائل من كتاب الصلاة

الخاتمة: تشتمل على نتائج البحث.

الفهارس الفنية: وتشتمل على ثبت المصادر وفهرس المحتوى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.